تطييب الخواطر

محمد صالح المنجد

ساهم في إعداده
الفريق العلمي بمجموعة زاد

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المنجد، محمد صالح
تطبيب الخواطر / محمد صالح المنجد - جدة ١٤٣٢هـ
٨٠ ص، ١٢×١٧ سم
ردمك : ٣-٣٢-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨
١- الأخلاق الإسلامية ٢-الآداب الإسلامية أ.العنوان
ديوي : ٢١٢,٢ ١٤٣٢/٥٥٠

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م



محمد صالح المنجد

تطييب الخواطر



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمما ينبغي مراعاته في حياتنا الاجتماعية؛ السعي لنشر الود، والتآلف، والمحبة، والإخاء، وسلامة القلوب بين المسلمين، ومن وسائل ذلك تطييب خواطر المنكسرين، والضعفاء، والمعوزين، والمضطهدين، والمنكوبين؛ بالوسائل المتنوعة.

وفي هذا الكتيب بيان شيء من ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى، وصحيح السنة، وما أُثر عن سلف الأمة.

ونسأل الله أن يفرج هم المهمومين، وينفس كرب المكروبين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



تطييب الخواطر

إن مكارم الأخلاق، صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تنال الدرجات، وترفع المقامات، وتثمر التحاب والتآلف، وضدها يثمر التباغض والتحاسد والتدابر؛ ولذا فقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق، والتمسك به، وجمع بينه وبين التقوى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**التَّقْوَى، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»[(١)].

وتطييب النفوس المنكسرة، وجبر خواطر أهل الابتلاء من أعظم أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين، فهو إذن أدب إسلامي رفيع، وخُلق عظيم، لا يتخلق به إلا أصحاب النفوس النبيلة.

وهو عبادة جليلة، بل إن بعض العلماء ذكروه في أبواب

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٤٦) وحسنه الألباني.

الاعتقاد، كما قال إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله: (ومن مذهب أهل السنة مواساة الضعفاء..والشفقة على خلق الله)[١].

فأهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق، ويريدون لهم الخير والهدى، ولذا كانوا أوسع الناس رحمة، وأعظمهم شفقة، وأصدقهم نصحاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان، فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة...ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم)[٢].

(١) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٥٧١).
(٢) الرد على البكري (٢/ ٤٩٠).

عناية الإسلام بتطييب النفوس

اعتنى الإسلام بهذا الخُلق غاية الاعتناء، بل شرع لذلك أحكاماً عديدة، في مناسبات متعددة، فمن ذلك:

استحباب التعزية لأهل الميت؛ لتسليتهم، ومواساتهم، وتصبيرهم، وتطييب خواطرهم على فقد ميتهم.

وشُرع للمطلقة غير المدخول بها نصف المهر، تطييباً لخاطرها، وجبراً لكسر نفسها، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة: ٧٣٢].

وكذلك جاء الشرع بإقرار الدية في القتل الخطأ؛ لجبر نفوس أهل المجني عليه، وتطييباً لخواطرهم[١].

ولتأكيد أهمية هذا الخُلق وبيان فضله؛ فقد كان من أوائل التوجيهات الربانية للرسول ﷺ في بداية رسالته مواساة من

(١) انظر: المغني (٩/ ٤٨٨).

يحتاج إلى مواساة، وتطييب خاطره، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩-١٠]، أي: (فكما كنت يتيمًا يا محمد فآواك الله؛ فلا تقهر اليتيم ولا تذله، بل طيب خاطره، وأحسِنْ إليه، وتلطف به، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك)[١].

فنهى الله تعالى عن نهر السائل وتقريعه، وأوصى نبيه أن يتلطف به، ويطيب خاطره، حتى لا يذوق ذل النهر مع ما هو فيه من ذل السؤال، وهذا أدبٌ إسلامي رفيع.

وقد عاتب الله نبيه محمدا ﷺ؛ لأنه أعرض عن الصحابي الأعمى عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وانصرف إلى دعوة عظماء قريش، رجاءَ أنْ يُسلمَ بإسلامِهم غيرُهم؛ فقالَ له ابن أم مكتوم رضي الله عنه: (يا رسولَ الله علمنِي مما علمكَ الله)، فكرِه رسولُ الله ﷺ قطعَهُ لكلامِه وأعرضَ عنه؛ فأنزل الله يعاتبه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٧)، تفسير السعدي (٩٢٨).

﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾[عبس: ١-٤].

قال القرطبي رحمه الله: (فعاتبه الله على ذلك؛ لكي لا تنكسر قلوب أهل الإيمان)[(١)].

ولذا كان حرص النبي ﷺ على نشر هذا الخلق بين أصحابه رضوان الله عليهم واضحاً وجلياً، فمن ذلك:

- مواساة من فقد عزيزاً أو تحمل دَيناً:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: لقيني رسول الله ﷺ؛ فقال لي: «**يَا جَابِرُ: مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**»، قلت: يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا. قال: «**أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِه أَبَاكَ؟**»، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَداً قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ؟، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ**»[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٣).
(٢) رواه الترمذي (٣٠١٠) وحسنه الألباني.

- وكان عليه الصلاة والسلام يساعد من وقع تحت هم الدين فيوجهه للحل:

فقد دخل ذات يوم المسجد؛ فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة رضي الله عنه، فقال: «**يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟**»، قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله. قال: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَاماً إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟**»، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي، وقضى عني دَيْني[1].

---

(١) رواه أبوداود (١٥٥٥)،قال الشوكاني: لامطعن في إسناد هذا الحديث. تحفة الذاكرين (٣٢١).

-وكان عليه الصلاة والسلام يطيب نفوس المهمومين والمظلومين منهم:

فلما قال المنافق عبد الله بن أُبي لأصحابه: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، وسمعه زيد ابن أرقم ﵁ فأخبر عمه؛ فأخبر عمه رسول الله ﷺ، فأرسل لابن أُبي؛ فحلف وجحد. قال زيد ﵁: فصدقه رسول الله ﷺ، وكذَّبني... فوقع علي من الهم ما لم يقع على أحد... فبينما أنا أسير... قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ؛ فعرك أذني وضحك في وجهي؛ فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا(١).

أنواع المنكسرين، وكيف نطيب خواطرهم؟

واحتياج الناس اليوم إلى الكلمة الحانية، والمواساة الكريمة، والخدمة الطيبة، والسعي في قضاء حوائجهم، أمر ضروري ومهم، وبالذات في هذا العصر الذي كثر فيه

(١) رواه الترمذي (٣٣١٣)، وصححه الألباني.

الكلام، وقل فيه العمل، وظهر فيه الشح والأثرة، وتعانق فيه الفقر والجهل.

ومن الخطأ الجسيم أن يغفل أهل الصلاح والخير عن خواطر المستضعفين وأهل الابتلاء، ويهمشوا قضايا الناس واحتياجاتهم اليومية.

فليس من الفضول أن تُؤسس الجمعيات التي ترعى العجزة والأرامل والأيتام، وليس من العبث أن نسعى في حاجات الفقراء، والمستضعفين ، والمرضى، والمنكوبين.

وأصحاب القلوب المنكسرة اليوم أنواع:

فمنهم الفقراء والأرامل والأيتام، ففي صلتهم، تطييبٌ لخاطرهم وجبرٌ لمصابهم:

(كانت لأبي بَرْزَةَ جَفنة [أي: قصعة] من ثَريد غدوة، وجَفنة عشية، للأرامل واليتامى والمساكين)[1].

(وكان صاحب المغرب المنصور يجمع الأيتام في العام،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢).

فيأمر للصبي بدينار وثوب ورغيف ورمانة)[١].

وهذا القاضي محمد بن علي المَرْوَزِيُّ (عُرِفَ بالخياط؛ لأنه كان يخيط بالليل للأيتام والمساكين، وَيَعُدُّهَا صدقة)[٢].

وهذا أحمد بن علي الرفاعي(كان يجمع الحطب، ويجيء به إلى بيوت الأرامل، ويملأ لهم بالجرَّة)[٣].

ومن يحتاجون إلى تطييب خواطرهم اليوم أهل المصائب والابتلاءات:

وذلك بتصبيرهم على مصيبتهم، والتخفيف من معاناتهم وأحزانهم، بالكلمة الطيبة، والفعل الحسن، فعندما صُلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة قيل لابن عمر رضي الله عنهما: إن أسماء في ناحية المسجد.فما كان منه عندما سمع ذلك إلا أن ذهب إليها مسرعاً يواسيها، ويطيب نفسها على ابنها.فيقول لها: (إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣١٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٦٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٧٩).

عند الله: فاتقي الله واصبري)[١].

وسمع إبراهيم بن محمد بن طلحة، أن عروة بن الزبير قد قطعت رجله؛ فذهب إليه يواسيه، فقال له: (والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك، وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض إن شاء الله، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، من علمك ورأيك، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك)[٢].

قال قتيبة بن سعيد رحمه الله: (لما احترقت كتب ابن لهيعة، بعث إليه الليث بن سعد من الغد بألف دينار)[٣].

وممن تشتد الحاجة إلى مواساتهم أيضاً عوائل الأسرى:

وذلك بالتواصل معهم بالزيارة، وكفالتهم، وحسن رعايتهم، لإعفافهم عن السؤال، وحفظهم من الابتزاز؛ فكم تهون على الأسير مصيبته، حين تقر عينه بصيانة ذريته.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٦).

ومما تشتد الحاجة إليه في زماننا، تطييب خواطر الخدم وجبر نفوسهم:

فبعض هؤلاء ترك الأهل والأوطان، متغرباً، يبحث عن لقمة العيش، وأسباب الرزق؛ فيحتاجون منا الوقوف إلى جانبهم، ومواساتهم، وتطييب نفوسهم.

قال أحمد بن عبد الحميد الحارثي رحمه الله: (ما رأيت أحسن خُلقا من الحسن اللؤلؤي! كان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه)[١].

بل إن هذا الأدب الإسلامي مطلوب حتى مع الأعداء !!

يقول ابن القيم رحمه الله: (جئت يوماً مبشراً لابن تيمية بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، فسروا به ودعوا له)[٢].

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٤).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٥).

أثر تطييب الخواطر

لخُلق تطييب الخواطر أثر كبير، وفعال على النفوس، فكم تُدخل الكلمة الحانية من السعادة على امرأة عجوزٍ، فتترجم تلك السعادة بدعواتٍ صادقة خالصة.

وقد تمسح على رأس طفل يتيم حزين؛ فيذكرك بهذا الموقف طوال عمره، ويدعو لك مدة حياته، وقد تقف إلى جنب أخيك فتصبره على فقد حبيب له؛ وعزيز لديه، فلا ينسى لك ذلك الموقف ما عاش؛ والنّفس البشرية مجبولةٌ على حبِّ من أحسن إليها.

فهجر هذا الأدب الإسلامي الرفيع يزيد من مصاب أهل الابتلاء، ويذهب الألفة والمحبة بين الناس، ويفوت على المسلم من الثواب والأجر الشيء الكثير.

الجانب المظلم: داء التشفي:

وعلى خلاف هذا الخلق الكريم، تجد بعض من قست قلوبهم يفرحون أو يضحكون لحدوث ضررٍ أو أذى لإخوانهم

الذين لم يمسوهم بسوء ولا أذى، وهذا فعل ينافي تعاليم الإسلام، لحديث أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

فنرى في زماننا أناساً قست قلوبهم، وجعلوا من مآسي الناس ونكباتهم مجالا للضحك والسخرية بهم، ومن صور ذلك:

الفرح بإخفاق أولاد الجيران دراسيا، أو الفرح بتطاول الأبناء على السائق أو الخدم، أو الفرح لمصائب زملاء العمل، أو فرح المرأة لمكروه يصيب أقارب زوجها، أو مصائب ضرتها، أو طلاق صديقتها.

فليحذر هؤلاء؛ فإن هذه صفة المنافقين: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فقد كان المنافقون إذا أصاب المؤمنين خصبٌ، ونصرٌ، وتأييدٌ، وكثروا وعزّ أنصارهم،

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

ساءهم ذلك، وإن أصاب المسلمين جَدْب أو أُديل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، فَرِح المنافقون بذلك)[١].

يا عـــائِداً قَـد جاءَ يَشمَتُ بي
قَد زِدتَ في سُقمي وَأَوجاعي
وَسَأَلتَ لَمّا غِبتَ عَن خَبَري
كَـم سـائِلٍ لِيُجيبَهُ النـــاعي

ولرغبة بعض النفوس في التشفي ممن عاقبها أو ظلمها، فقد أمر سبحانه بالمعاقبة بالمثل في القصاص دون تعدٍ أو تجاوز، فقال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ١٩٤].

ذلك أن (النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رُخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، فأمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها)[٢].

فالمحرم مزيد التشفي الذي يسببه التعدي في القصاص ، وهو ما تقدم معناه آنفا.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٩).
(٢) تفسير السعدي (٨٩).

وسائل تطييب النفوس

مواساة المنكسرين وتطييب خواطرهم لا يقتصر على الكلام فقط، بل قد تكون المواساة وتطييب الخواطر بالمال، وقد تكون بالجاه، وقد تكون بالنصيحة والإرشاد، وقد تكون بالدعاء والاستغفار لهم، وقد تكون بقضاء حوائجهم، فعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت[١].

فمن وسائل تطييب النفوس ما يلي:

١ . المواساة عند فقد الأحبة:

فمما يجبر كسر النفوس المصابة عند فقد الأحبة: لطيف التعزية، فإن الكلمة الطيبة للمصاب يثبت بها بإذن الله ويغدو صبره عليها سهلاً يسيراً، فإن العبد ضعيف بنفسه، فإذا وجد هذا يعزيه، وهذا يسليه؛ سهلت عليه الأمور العظام.

(١) الفوائد (١٧١) بتصرف.

وعندما توفيت ابنة المهدي جزع عليها جزعاً لم يسمع بمثله فجلس الناس يعزونه فجاءه ابنُ شيبة يوماً فقال له: أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً، وأعقبك صبراً، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير لك منها، ورحمة الله خير لها منك، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده[١]. فلم يروا تعزية أبلغ ولا أوجز من هذه التعزية، وكان مما سُرِّيَ على المهدي بها.

ومن لطيف التعزية ما قيل من بعض الأعراب عندما دخل على بعض ملوك بني العباس وقد توفي له ولد اسمه العباس فعزاه ثم قال:

خير من العباس أجرك بعده   والله خير منك للعباس[٢]

٢. **الاعتذار للآخرين، وقبول أعذار المعتذرين:**

فالحرص على الاعتذار عند الخطأ، من وسائل تطبيب النفوس؛ لأن الإنسان يَرِدُ عليه الخطأ في تعامله مع الناس؛ وكفارة ذلك الذنب هو الاعتذار.

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٩٣).
(٢) وفيات الأعيان (٤/ ٤٣).

وكذلك هو الحال (لمن أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته؛ فإن التواضع يُوجب عليك قبول معذرته، حقاً كانت أو باطلاً، وتكل سريرته إلى الله...)[١].

٣. تبادل الهدايا:

للهدية أثر واضح في تطييب النفوس، وتصفية القلوب من الأدغال والأحقاد، فعن أنس ﷺ أنه قال: (يا بني! تباذلوا بينكم؛ فإنه أودُّ لما بينكم)[٢].

وروي عن أبي يوسف: (أن الرشيد أهدى إليه مالاً كثيرًا، فورد عليه وهو جالس مع أصحابه، فقال له أحدهم: قال النبي ﷺ: «**جلساؤكم شركاؤكم**»[٣]، فقال له أبو يوسف: إن هذا الكلام لم يرد في مثل هذا، وإنما ورد فيما خف من الهدايا، وفيما يؤكل ويشرب مما تطيب النفوس ببذله والسماحة به)[٤].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٧).
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٥) وصححه الألباني.
(٣) قال ابن عبد البر: إسناده فيه لين: التمهيد (٢١/ ١٢٤).
(٤) شرح ابن بطال (٧/ ١٢٥).

٤ . الابتسامة:

قال رسول الله ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(١)، يعني: أن إظهارك البشاشة والبشر إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة (٢)، فضلا عن كونها تطيب النفوس، وتزيد المحبة.

قال ابن عيينة رحمه الله: (البشاشة مصيدة المودة)، فقد يصادفك شخصٌ في الطريق وأنت مهمومٌ مغمومٌ حزينٌ؛ فيبتسم في وجهك، فتشعر أن همك قد زال، وحزنك قد رحل.

وجاء في الأثر أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «**إذا التقى المسلمان فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر**»(٣)، فالابتسامة إذن تنشر المحبة بين المسلمين، وتطيب خواطرهم، وتبعث الاطمئنان في نفوسهم وقلوبهم.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني.
(٢) فيض القدير (٣/ ٢٩٧).
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (١١٤)، وهناد في الزهد (١٠٢٨).

٥. **قضاء حوائج الناس :**

فقد كان رسول الله ﷺ: «**لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة**»[(١)].

قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: (ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها)[(٢)].

وقال محمد بن عبد الواحد الزاهد: (ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة، وفي قضاء حقوقهم رفعة؛ فاحمدوا الله على ذلك، وسارعوا إلى قضاء حوائجهم)[(٣)].

ومشى بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ مع ضعيف في مظلمة إلى إِشْبِيلِيَةَ، ومشى مع آخر إلى إِلْبِيْرَةَ، ومع امرأة ضعيفة إلى جَيَّانَ[(٤)].

هذا مع كثرة عبادته، وكثرة طلابه وانشغاله بالعلم والتأليف.

(١) رواه النسائي (١٤١٤)، وصححه الألباني.
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١).
(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٦٦)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥١٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٥).

٦. التزاور:

زيارة المريض حال مرضه، وزيارة الإخوان بين حين وآخر له أثر كبير في تطييب النفوس، وتنمية المودة والألفة.

٧. فهم النفسيات:

النفس البشرية كالبحر، والنفوس تختلف باختلاف أصحابها، فما يصلح لهذه قد لا يصلح للأخرى، ولله در شبيب بن شيبة حينما قال: (لا تجالس أحداً بغير طريقه، فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم، واللاهي بالفقه، والعِيَّ بالبيان آذيت جليسك)[١].

وهذا المنيعي حسان بن سعيد المخزومي عندما أراد أن يبني جامعاً، أتته امرأة بثوب لتبيعه وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع، وكان الثوب لا يساوي أكثر من نصف دينار، فطيب خاطرها، واشتراه منها بألف دينار، وخبأ الثوب كفنا له[٢].

(١) آداب العشرة (٤٧).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٦٦).

٨. إخفاء الفضل والمنة عند جبر الخواطر:

كان القعقاع بن شَوْرٍ إذا قصده رجلٌ، وجالسه، جعل له نصيباً من ماله، وأعانه على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً[١].

فهذه بعض وسائل تطييب النفوس والخواطر، نسأل الله أن ينفعنا بها جميعا.

ولنعلم أن المريض، والمهموم، والحزين، والطبيب، والموظف، والداعية، والغني، والفقير، والصغير، والكبير، الكل يحتاج إلى الكلمة الطيبة، والابتسامة المشرقة، والتعامل الحسن، فجميعنا يحتاج إلى هذه العبادة.

ولذلك ينبغي على الجميع إحياء هذه العبادة وتفعيلها مع الصغار والكبار، مع المرضى والأصحاء، مع الطلاب والمعلمين، مع العالم والجاهل، مع المصيب والمخطيء.

فقد يصبح الطفل من العلماء والعظماء النابهين النافعين

(١) الكامل للمبرد (١/ ١٤٣).

لأمته بكلمةٍ تشجيعية يسمعها من معلمه، أو أحد والديه.

وقد يصبح المريض الذي أعياه الألم، صحيحاً سليما معافى بعبارةٍ مشجّعةٍ، ودعوةٍ طيبة، وابتسامة صادقة، من زائريه.

وقد يصبح المخطئ والمقصر، والمسرف على نفسه، صالحاً مصلحاً بموعظةٍ حسنةٍ، وذكرى نافعة، وتوجيه سديد.

ولابد من استثمار موقف الضعف عند العبد؛ لربطه بالله وحده.. فهو سلوة المنكوبين.. وملاذ المنكسرين.. وهو الذي يملك كشف الضرِّ.. ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل: ٦٢]..وتذكيره بالثواب العظيم لأهل البلاء؛ كم جاء عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ما يُصيبُ المسلم من نَصَبٍ، و لا وَصَبٍ، و لا همٍّ، و لا حَزَنٍ، ولا أَذىً، و لا غَمٍّ، حتّى الشوكة يُشاكُّها إلاّ كفَّرَ اللهُ بِها من خطاياهُ**»(١).

وكم من أُناسٍ تبدَّلت أحوالهم، وتغيَّرت أمورهم، بسبب

(١) رواه البخاري (٥٦٤٢).

فتنةٍ أو محنةٍ ألَمَّت بهم، وتصبيرهم وتثبيتهم حتم وواجب؛ حتى لا يكونوا ممن تعصف بهم الأزمات والفتن، وتموج بهم رياح الابتلاء والمحن.

نسأل الله أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يؤلف بين قلوبنا، ويصلح ذات بيننا، ويجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



المحتويات